قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها

للاب ص. ونرقال اليسوعي

وردت الينا من جهات مختلفة بعض كتابات شرقية معظمها عربيّة فبادرنا الى نشر قسم منها في هذه المجلة تتحف بها قراءنا الافاضل فلعلّهم يدركون منها فوائد تاريخيّة وادبيّة فضلًا عمّا يجدونهُ من ارتياض الذهن وتنقّه الخاطر ولا بدَّ لنا قبل المباشرة من قضاء فروض الشكران الجميل لحضرات مرسليها فان تلك الآثار بعض اهمّيّة كما سترى وفي نشرها خدمة للوطن والعلم

الكتابة الاولى (راجع الصورة ١)

هي اقدم الكتابات التي نريد نشرها في هذه المقالة. وقد اتتنا منذ بضعة ايام من قِبل حضرة سليم افندي الطحيني وكيل سراية بيت الدين من اهالي دير القمر. ورسمها مأخوذ(١ عن حجر ضريح (طولهُ نحو ٩٦ سنتيمترًا في عرض ٤١ س) وهو موجود الآن في دار مركز متصرفيّة لبنان الجليلة. فالظاهر ان الحجر نُقل الى بيت الدين من جوار البلدة. ومع ذلك لم يقدر احد ان يدلّنا على مكانها الاصلي(٢. ومضمون الكتابة كما يلي جعلنا فيها ارقامًا للدلالة على ترتيب الاسطر الاصليّة:

١ بسم الله الرحمن ٢ الرحيم قل هو ٣ الله احد الله ٤ الصمد لم يلد
٥ ولم يولد ولم ٦ يكن لهُ كفوًا ا ٧ حدّ (٣ هذا قبر ٨ ابو (كذا)
الحسين بن ما ٩ سماك (؟) رحمهُ ١٠ الله توفي سنة ١١ ثمانمائة

فترى ان لا صعوبة في قراءة هذه الكتابة اللهمّ الّا في آخر السطر الثامن وافتتاح السطر التاسع حيث ورد اسم ابي المتوفى. فلذا لم نتجاسر على وضع نقط احرفهِ(٤. بيد ان المرجح ان هذا الاسم غير عربي بل تركي فتكون صورتهُ مثل باشماك او باشماد او باسماك او ما يشبه ذلك(٥ ولا غرو فان بني طولون رهم اتراك الاصل قد احتلوا الشام في مطاوي القرن الثالث للهجرة

---

١) اعلم ان هذا الرسم وان لم يكن من النوع الذي يقال لهُ في لسان الفرنج (estampage) (اي طَبْع او خَتْم وسيأتي الكلام على ذلك) بل كان مأخوذًا رأسًا عن الحجر بعد تسويده بالحبر فهو مع ذلك جيّد مُتقن. فنهنئ جناب المرسل بما بذل من الاعتناء في اخذه

٢) وهذا مما يؤسف له وان كانت الكتابة كاملة الاحرف واضحة المعنى. ففي المستقبل نرجو من مراسلينا الكرام ألّا يألوا جهدًا في معرفة كل ما يؤول الى تبيين خواصّ الكتابات التي يتكرّمون بارسالها الينا ٣) سورة الاخلاص بتمامها ٤) وهذا يكون دأبنا فيما بعد كلما عثرنا على لفظة لم يسعدنا الحظ على استخراج معناها ٥) قابل صورة اسماء بايكباك. بايندر. بايزيد. باشباي. بشتاك وغيرها

ولم تبطل دولتهم الاّ في اواخر ذلك القرن . فيكون اذًا ابو الحسين من بقايا هذه الدولة في جبل لبنان . وان صحّ استنتاجنا هذا فهو شاهد مفيدٌ على ما طرأ على قوم لبنان الجنوبي من اختلاط الدماء في مرّ الدهور

اما الغلط الواقع في السطر الثامن « ابو » عِوَض « ابي » فن يد الناقش ومثل هذه الاغلاط ليست بنادرة في الكتابات العربيّة فضلًا عن الكتب المخطوطة (١

ولهذه الكتابة اهميّة معتبرة في ضبط تاريخ الخطّ العربي فانها لحسن الحظ مؤرخة لا شك في زمن نقشها . واليك ايضاح الامر على غاية ما نجد الى الاختصار سبيلًا فنقول: ان العلامة ڤان برڤم جامع الكتابات العربيّة المشهور لم يعثر حتى سنة ١٨٩٧ على كتابة بخطّ كوفي مذيّل (٢ ككتابتنا هذه يرتقي عهدها الى ما فوق اوائل القرن الرابع للهجرة . ومن ثمّ اثبت في عدّة مواضع من تآليفه انّ الكوفيّ المذيّل لم يظهر في بلاد

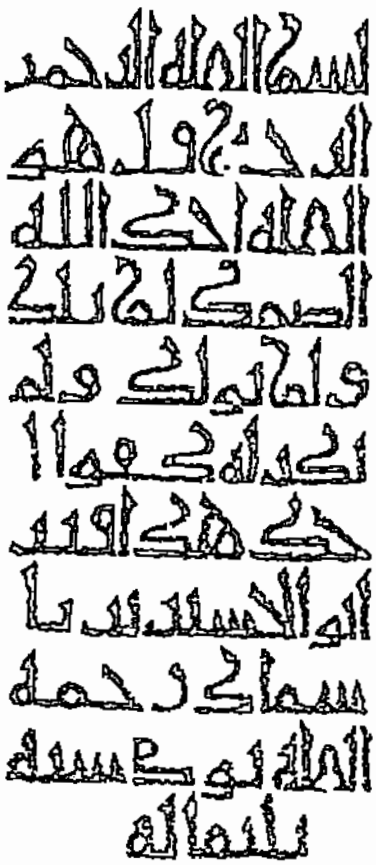

صورة الكتابة الاولى

١) يمثّل ذلك : « ابي » عِوَضًا عن « ابو » وهو كثير الورود (راجع مجموع الكتابات العربيّة للعلّامة ڤان برڤم CIA (Corpus Inscriptionum Arabicarum) n^os 13,100,45. وفي تأليف المركيز دي ڤوكويه Syrie Centrale, pl. XVIII : « اللهمّ اغفر لمحمّد بن الوليد وادخلهُ برحمتك في عبادك « الصالحون ». وايضًا « لم يحشا » عِوَضًا عن « لم يخشَ » (في كتابتنا الثانية) و « التقى وأعلا » والصواب « التقّ وأعلى » (CIA, n^os 41, 32) وكذلك « في سنة تسعة » (N° 41) و « في سنة احد » (n° 92) الخ

٢) قد قسم العلّامة المذكور الخطوط العربيّة الواردة في الكتابات (لا في الصحف) الى اقسام شتّى نسمّي اولها Coufique simple اي الكوفي البسيط الذي لا زينة لهُ . والثاني C. fleuri (carmatique) اي الكوفي المزهر ونحن نسمّيه « المُذَيَّل ». والثالث C. décoratif اي المزيّن ونحن نسمّيه « المزدان » . والرابع النسخي وهو يتفرّع الى نسخي ابو بي ومملوكي وعثماني الخ (راجع CIA, p. 8)

مصر والشام وغيرها الّا في نحوِ القرن الرابع (١ . على ان كتابتنا تضطرنا اليوم الى القول بان الكوفيّ المذيّل الشامي يرتقي زمن اختراعهِ حتى الى منتصف القرن الثالث للهجرة لما في هذه الكتابة الجليلة من حسن الخطّ واتقان النقش . وهذا كما لا يخفى يدلّ صريحًا على طول مزاولة ارباب الصناعة للخط الذي نحن بصددهِ

وعلاوةً على ذلك قد ارتأى ايضًا العلامة نفسهُ (٢ ان الكوفي المذيّل دخل مصر من جهة الغرب اي من بلاد تونس التي منها خرج الفاطميون . ولكن أفيجوز اليوم مثل هذا القول دون زيادة ولا تغيير بعد اكتشاف كتابتنا في لبنان ؟ وما ادراك ما على قمم هذا الجبل او في بقاع سوريّة من الآثار الخفيّة المدفونة التي لا بُدَّ للعالم من معرفتها قبل الاتيان بمثل هذه الاستنتاجات العامّة ؟ وما يزيدنا ثقةً في انَّ موسيو فان برگم يغيّر رأيهُ بعض التغيير ما نعرفهُ يقينًا من دخول الخطّ النسخي الايوبي في بلاد مصر . فان هذا الخط قد ظهر في سوريّة قبل ان يمتدّ الى الاصقاع المصريّة في القرن السادس للهجرة (٣ فتأمل

الكتابة الثانية (راجع الصورة ٢ وهي رسم شمسيّ)

قد اهداها الينا حضرة الاب لامنس اليسوعي بعد سفرهِ الى جهات حمص . ولهُ في قراءتها وتفسيرها بعض ملاحظات مفيدة ادرجناها في هذه النبذة . وحضرتهُ اخذ هذه الكتابة بالرسم الشمسي في قرية جوسية التي موقعها جنوبي شرقي حمص على ست ساعات منها ونحو نصف الساعة من رَبَلة على شاطئ نهر العاصي . وسنرجع الى اخبار جوسية بعد تفسيرنا للكتابة . وفي هذه القرية بقايا جامع قد طمسهُ الدهر اللهم الّا مأذنتهُ المربعة الشكل وبحرابهُ (٤ . وفوق المحراب الكتابة وهي ذات اربعة اسطر بخط نسخي مملوكي جيد النقش حسن المنظر يبلغ كبر حروفهِ الناتئة نحو ١٠ سنتيمترات وكانت

---

١) طالع (CIA, pp. 8, 85,39, و (J. A., 1891 p. 72-3

٢) طالع النصوص المشار اليها آنفًا و J. A. 1891 p. 73

٣) راجع (Van Berchem : *Inscript. arab. de Syrie*, p. 450) ولسنا ندوّن هذه الاعتراضات وغيرها رغبةً في حطّ شأن ذلك العلّامة الفائق الشهرة في كل ما يختصّ بالكتابات العربيّة بل لمجرّد اظهار الحقيقة وتعريض مواطنينا على بذل الجهود وراء هذه الابحاث العلميّة التي لم تبلغ في بلادنا الدرجة التي ادركتها في الديار الاوربيّة

٤) وبين البقايا بعض طلول دارسة تدلّ على ان الجامع قد بُني على كنيسة مهدومة

هذه الكتابة اصلًا على ثمانية حجار فقد منها حجران. بيد ان مضمونها سهل القراءة (١ ودونك النصّ الكامل:

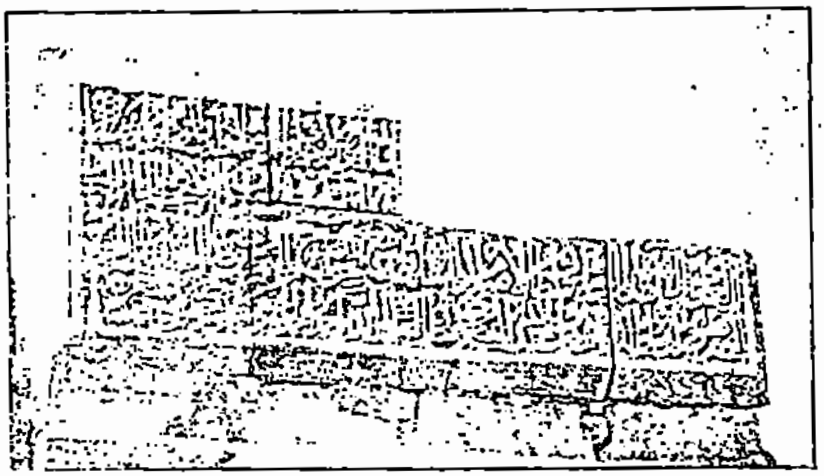

صورة الكتابة الثانية عن رسم شسي

١ [بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن با] لله واليوم الآخر واقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخشا (كذا) ٢ [الّا الله فعسى اولائك ان يكونوا من المهتدين (٢ اس عمارة هذا المحل] مع المبارك مولانا السلطان الاعظم الملك المجاهد المرابط سلطان الاسلام والمسلمين قامع المتوارج والمتمرّدين صاحب القبلتين خادم الحرمين الشريفين زين الدنيا والدين كتبغا بن عبد الله المنصوري في نظر الفقير الى الله احمد بن الحسد الختني في شهور سنة خمس وتسعين وستمائة

ملاحظات: (سطر ١ و ٢). ما تراهُ بين مكّفين غير وارد في الكتابة المذهاب جبر بن الّا ان وجوده قبلًا حقيقة لا شكّ فيها (٣. وهنا ايضًا غلط وهو « ولم يخشا » وقد مرّت الاشارة اليهِ. وانما فضّلنا لفظة « عمارة » على لفظتَي « انشاء » و « تجديد » لان السلطان كتبغا لم

١) مما يزيد هذا الاثر اهمّيّةً ان الكتابات التاريخية على المحاريب عزيزة الوجود فان اللّامة فان بركم لم يشر الّا على واحدة منها في القاهرة (CIA, n° 12). واعلم ان موسيو دوسو (Dussaud) قد اخذ هو ايضًا كتابتنا هذه (طالع Triparadisos, extr., 1898, p. 8) فارسل رسمها الشمسي الى اللّامة المذكور. الّا انهُ لم ينشرها جدُّ على ما نظنّ. وعلى كل حال ففي اشهار الكتابات من جهتين مختلفتين فائدة بيّنة لاتقان قراءتها

٢) سورة التوبة : ٩

٣) راجع CIA, n° 10, 11. واعلم اننّا تبعًا لعادة المستشرقين في مثل هذه الظروف قد استعملنا هذه العلامة [ ] كلّما استنتجنا قراءةً ما استنتاجًا اكيدًا رغمًا عن سقوطها من

يملك وقتاً كافياً لبناء جامع كامل كما سيأتي. وممّا ينفي ايضاً معنى الانشاء ان كلمة « جامع » لا مرية في قراءتها في السطر الثاني والحال ان اسم الجامع لم يأتِ في القرن الذي عاش فيه كتبغا الّا دلالةً على البنايات الكبرى بينما كانت لفظة « مسجد » مقصورة على الاشارة الى المصلّيات الصُّغرى(١ = (سطر ٢ و ٣) كل هذه الصفات السلطانية معروفة من عدّة كتابات مملوكيّة أُخرى. ومعنى « المجاهد والمرابط » مأخوذ من القرآن. والمراد « بالقبلتين » قبلتا مكّة والقدس و « بالحرمين » حرما المدينة ومكة. ولا حاجة الى الاسهاب في تفسير هذه المعاني الواضحة لقرّائنا الشرقيين (٢ = (سطر ٤) لم يسعدنا الحظ بمعرفة اخبار احمد بن الحسد المذكور بعد السلطان. والمرجّح عندنا انهُ لم يكن من عظماء الدولة بل من الامراء الصغار او قاضياً من القضاة او ناظر املاك جوسية الذي تولّى عمارة الجامع(٣

واماً السلطان كتبغا فهو مشهور في تواريخ المماليك ولا بدَّ لنا من ايراد مختصر اخباره لبيان اهميّة كتابتنا. قال المقريزي في الخطط (٢ : ٢٣٩) عند كلامه على السلطان الملك الناصر محمّد بن قلاون (٤ : « اقيم هذا السلطان بعد اخيه وعمرهُ سبع سنين وقام الامير زين الدين كتبغا بتدبيره ثمَّ خلعهُ بعد سنة تنقص ثلاثة ايّام وقام من بعده (السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا (٥ احد مماليك المنصور قلاون(٦ وجلس على التخت بقلعة الجبل في يوم الاربعاء حادي عشر المحرم سنة اربع وتسعين [وستمائة] (٧ وتلقب بالملك العادل فكانت ايامهُ شرَّ ايام لما فيها من قصور مدّ النيل

---

١) طابع الكتابة التي بين ايدينا CIA, pp. 29, 172 و Inscript. Arab. Syr. p. 504

٢) راجع CIA, n°s 82, 46 وفيه نجد ايضاً ان عبارة « الدنيا والدين » في الكتابات المملوكيّة انما اقتُصر استعمالها على السلاطين الاعظمين

٣) لا نجهل ان قولنا هذا لا يوافق تماماً راي العلّامة فان بركم وقد اراد ان يميز بين عبارة « في نظر » و « على يَد او يَدَيْ » فرقاً معتبراً في الاصطلاحات الديوانيّة وان العبارة الاولى اعلى درجةٍ من الثانية. (راجع CIA, pp. 84, 134). غير ان ما يصحّ قولهُ في اصطلاحات الدولة الايوبيّة وغيرها ربّما لم يصحّ تماماً في اصطلاحات دولة المماليك لا سيما في كتابات الشام. (قابل CIA n° 20, 53 وتأمّل). وعلى كلّ حال فكل هذه الاستنتاجات لا تُقبل كقواعد مطّردة ما دام مجهولاً القسم الاكبر من الكتابات الشاميّة والعراقيّة

٤) او قلاوون كما ورد مراراً في الكتابات المصريّة وفي تاريخ ابي الفداء (طبعة القسطنطينية)

٥) وفي كتابتنا « زين الدنيا والدين » وقد مرَّ بيانهُ. وفيها ايضاً ان كتبغا هو ابن عبد الله. لكن ذلك ليس بدليل قطعيّ على ان اسم ابيهِ كان عبد الله فان المماليك كثيراً ما تسمّوا بهذه التسمية لعدم معرفتهم بنسبهم (طابع CIA, p. 84) ٦) هو السلطان المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨ — ٦٨٩ هـ ١٢٧٩ — ١٢٩٠ م) (طابع تاريخ ابي الفداء ٤ : ٥١) وبهِ تلقّب كتبغا بالمنصوريّ ٧) راجع ايضاً ابا الفداء ٤ : ٢٢ — ٢٣ وتاريخ بيروت لصالح

وغلاء الاسعار (١ وكثرة الوباء في الناس الخ ... وقال ابو الفداء في تاريخه (٢ : ٣٥): « وفيها (اي سنة ٦٩٥) في شوال خرج الملك العادل كتبغا من الديار المصرية وسار الى الشام ووصل الى دمشق ... ثم سار من دمشق الى جهة حمص وسار الى البرية متصيدًا ووصل الى حمص وقدم الى جوسية وهي قرية على درب بعلبك من حمص (٣ وكانت خرابًا فاشتراها و « عمرها » فوصل اليها ورآها ثم عاد الى دمشق الخ (٤ ». ولم يستمر كتبغا على سرير الملك زمنًا طويلًا بل « قام عليه نائبه الامير حسام الدين لاجين وهو عائد من دمشق بنزلة العرجاء في يوم الاثنين ٢٨ محرم سنة ٦٩٦ فقر الى دمشق واستولى لاجين على الامر فكانت مدته سنتين و ١٧ يومًا (٤ »

ولا حاجة بعد تدوين هذه الاخبار الى تنبيه افكار قرائنا الافاضل على عظم اهمية الكتابات القديمة في اثبات حقيقة نقل المؤرخين ومما يزيد كتابة جوسية فائدة

ابن بجي (ص ١٧٤) يعلم القراء ان ابا الفداء اقدم عهدًا من المقريزي (راجع مجاني الادب ٥ ص ٢٩٤ – ٢٩٥) وانه معاصر كتبغا ١) راجع ايضًا خطط المقريزي ٢ : ٢٦٦ عند كلامه على سبب ضياع كتب المدرسة الفاضلية في القاهرة ٢) راجع ايضًا تقويم البلدان لابي الفداء (طبعة رينو ص ٢٤٩) ومعجم البلدان لياقوت ٢ : ١٥٤

٣) وجوسية هذه غير جوسية الخراب او القديمة التي ترى بقاياها جنوبي شرقي جوسية الجديدة. قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٤٥) دير باعتل من جوسية على اقل من ميل وجوسية من اعمال حمص على مرحلة منها من طريق دمشق وهو (اي الدير) على يسار القاصد لدمشق وفيه بجانب منها آزج ابواب فيها صور الانبياء محفورة منقوشة فيها وهيكل مفروش بالمرمر لا تستقر عليه القدم وصورة مريم في حائط منتصبة كلما ملت الى ناحية كانت عينها اليك ». ولا شك ان موقع دير باعتل يوافق موافقة تامة موقع جوسية الخراب الحالية اذ يباين فيها المناظر بقايا كنيسة او دير قديم. وكنا قد الفنا مقالة مطولة في هذا الموضوع اذ اشار الينا حضرة الاب لامنس الى تبذة مسيو دوسو المار ذكرها. والمؤلف قد سبقنا واثبت فيها ان مدينة Paradisos او Triparadisos المشهورة في تواريخ خلفاء الاسكندر انما هي جوسية الجديدة لا جوسية القديمة ولا ريب. (راجع Guy le Strange : *Palestine under the Moslems* ومع ذلك قابل Palmer, Furrer, ZDPV, 1885, 16 و PEFQ 1871, 113 و Van Kasteren, S.J.: *La Frontière Septentrionale de la Terre promise*, 1895, 11-12

٤) عن المقريزي (خطط ٢ : ٢٢٩). طالع تاريخ المماليك للمؤلف نفسه (Quatremère II, 239...) وفيه تفاصيل مطولة في ملك كتبغا وكذا في تاريخ ابي الفداء (٢٥٤–٥١) وقد اسهب المقال في اخبار كتبغا بعد خلعه ووصف الحروب التي سار اليها بصحبته

ان السلطان كتبها (على ما ظنّ) لم يُبقِ في القاهرة آثارًا تُذكر سوى قسم من بناء المدرسة الناصريّة (١

الكتابة الثالثة (راجع الصورة ٣)

هي ايضًا من هدايا حضرة الاب لامنس وقد دلّهُ عليها في بعلبكّ سيادة الخبر الجليل اغابيوس معلوف مطران بعلبك الجزيل الاحترام وهي على قطعة حجر (٢ فلم يقتصر الاب المُهام على اخذها بالرسم الشمسي بل اضاف اليه صورتها الطبيعيّة (estampage) على الورق النشاف. وهذه الكتابة غير سهلة القراءة في بعض المواضع فضلًا عن انّها غير كاملة. واليك ما امكننا ان نقرأ فيها واعلم ان صورتنا الثالثة مأخوذة عن الطبع لا عن الرسم الشمسي :

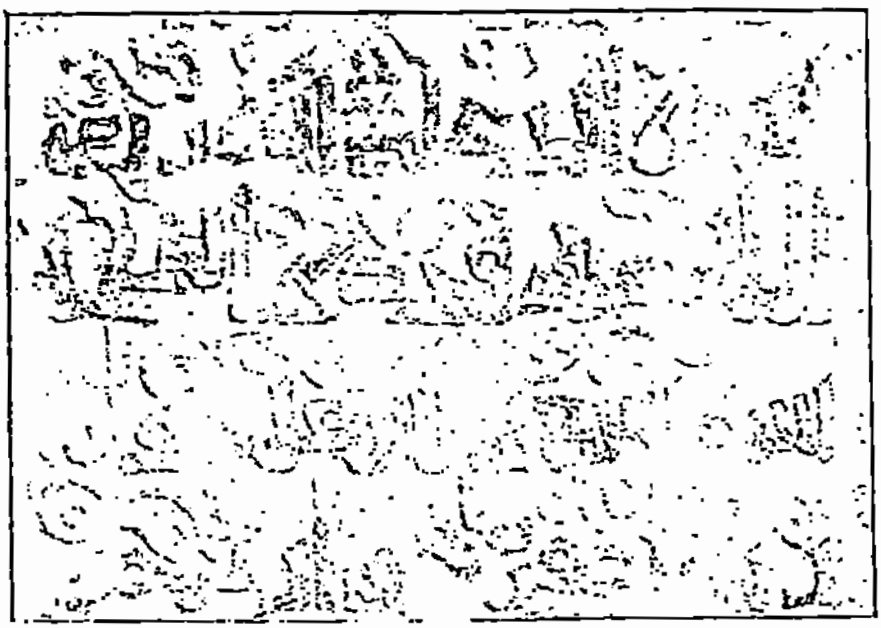

صورة الكتابة الثالثة

أ حسين ابن علي . . . (؟) رضي ٢ الله عنهُ في ذي الحجّ [٨] ٣ سنة سبع وسبعين وار[بمائة] ٤ ربّ اغفر لهُ وارحم

١) راجع المقريزي خطط ٢ : ٢٨٣ والقلقشندي CIA, n° 100 (Wüstenfeld. p. 138) وقد طالعنا تواريخ ابن اياس وكتاب الانتصار لابن دقاق (٤ و ٥) فلم نجد في تآليفهما شيئًا يدلنا على ان كتبنا بنى غير المدرسة الناصرية ٢) طول الكتابة ٢٢ س وعرضها نحو ٣٠ س

ملاحظات : الحروف كما ترى ناتئة وكوفيَّة مذيَّلة او مزدانة لانها مزخرفة للغاية وفي خلال الاسطر نقوش غيرها تختلط بالاحرف حتى انهُ لولا رسم الطبع المذكور لما قدرنا على استخراج مباني الكتابة . — قراءة « حسين الخ » اكيدة الَّا الكلمة التالية . ورأينا انها ايضاً اسم لا فعل. فانَّهُ لمَّا كانت هذه الكتابة ضريحيَّة كالاولى ظنَّ انَّها كانت تبتدئ بمثل هذه العبارة : « (البسملة... تُوفي .... حسين بن علي الخ . — واما السنة (اي ٦٧٧) فلا شك فيها لان صورة حروف السين في التاريخ كثيرها من سينات الكتابة فلا يجوز ان تقرأ سنة تسع وتسعين (١

وليس لهذه الكتابة من اهميَّةٍ سوى تاريخها وتنميق نقشها (يتأتى البقية)

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل رينو اليسوعي (تابع لما سبق)

القسم الثالث

في الكفَّارة

الفصل الاول

في سان ميشل

من زار مصبَّ نهر يوكون يشاهد بلدة صغيرة وحقيرة تدعى سان ميشل بناهـا بالاخشاب تجار الفراء الذين كانوا يقصدون تلك النواحي لصيد كلاب الماء والقاقم والسمور . فهناك صنعت يد الطبيعة مرفأً طبيعيًّا ملقيةً في وسط اليمّ المحيط جزيرة من المقذوفات البركانيَّة مساحتها ٣٠٠ كيلومتر مربَّع تحبس الطين والصلصال الذي تجرُّهُ مياه النهر دائماً الى البحر وتقف في الوقت نفسهِ حاجزًا دون الارياح الآتية من العباب وقد تكوَّن كما تقدَّم ذكرهُ مرسىً واسع من افضل المراسي التي تحطّ فيهـا السفن الكبيرة حتى انَّ الجغرافيين يشبهونهُ بمرسى الاسكندريَّة ولكنهُ اذا حاكاهُ في امنهِ ورحبهِ فمن اين لهُ ان يماثلهُ في ما يتوارد اليهِ من البضائع والسلع

---

١) وهذا بيّن ايضاً من وجه اخر فان صورة الاحرف من الطرز الكوفي الفاطمي وورود اسمي حسين وعلي دليل واضح على مذهب المتوفى. واما وجود الالف في كلمة « ابن » في بعض الكتابات فامر مشهور